نبذات من عظات

العطاء

٢٧

القمص يوسف أسعد

نبذات من عظات

٢٧

العطاء

القمص يوسف أسعد

إصدار أبناء القمص يوسف أسعد

١٩٩٩

العطـــاء

للحق أشعر أن العطاء الحقيقى يبدأ من معرفة الرب يسوع الحقيقية، لأن ربنا يسوع أعطانا مجاناً كل شئ وأعطانا ونحن لا نستحق أى شئ، أعطانا مجاناً أن نناديه يا أبانا، تبنانا ونحن فى ظلمة الخطية نعيش لكى يعطينا مذاقة النور وسعادته، أعطانا بمسرة وفرح، وكان فى أحاديثه يقول للتلاميذ مسرتى أن أتمم مشيئة الذى أرسلنى.. ومن هنا أعتقد أن أى عطاء لابد أن يكون بنقاء.

العطـاء بنقـاء:

والنقاء عملة لها وجهين، **العطاء المجانى** الذى لا يكون من ورائه هدف ولا منفعة، والوجه الثانى هو **العطاء المسرور** الذى أقدم فيه وأشعر بلذة وجه يسوع الذى آراه أمامى إذ أعطانى أن أجد صورته ماثلة أمام عينىّ وأنا آخذ من مسرته وأعطى.

أولاً: لا يمكن للعطاء أن يكون بنقاء ومعه فى داخلى أهداف،

فعندما أعطى لك إبتسامة ويكون من ورائها مصلحة هنا كأنى لم أعطيك شيئاً، بل أكون قد تعاملت معك معاملة التاجر الذى يبيع الإبتسامة ليربح المال فى جيبه، هناك فرق كبير جداً عندما أقدم الإبتسامة بلا غرض أو هدف والعكس وأنا أقدمها بهدف.

هذا هو المحك الحقيقى لنقاوة العطاء، فهناك فرق بين أنك تقدم محبة وأنت تريد مصلحة أو زواج أو معرفة أو سلطة أو مال وبين أن تقدم الحب بلا أى مصلحة.. صدقنى إنه لا يستطيع أحد أن يحدد هذا إلا أنت وساعة العطاء نفسه.

هناك فرق بين أن أعطى شخص، وأن أعطى موضوع، لأنه عندما أعطى شخص تتدخل هناك النفعية، ولكن عندما أعطى الموضوع هنا تتلاشى الشخصية من أمام عينىّ، **لأجل هذا العطاء المجانى الذى لا هدف له هو العطاء للموضوع،** ولا يوجد موضوع أمامنا أعظم من الذى قال عنه ماربولس الرسول: «مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ» (عب ١٢ : ٢) قالها ماربولس عن رب المجد يسوع، أنه يعطى وفى عطائه غبطة أكثر من الأخذ، لأنه يعطى للحب الذى أعطاه.

وهنا نقطة أساسية نضعها فى أذهاننا **أننا لا نعطى لإنسان أو**

نأخذ من إنسان لكننا نعطي لله، وسنظل نعطى مجاناً مهما كانت النتيجة، سواء كانت مديحاً أم ذماً، فنحن فى كل الأحوال سنظل نعطى، لأننا نعطى للموضوع، نعطى للحب الذى أعطانا، وهذا سيجعلنا نعطى فى كل وقت ولا نفكر فى أى شئ نأخذه إطلاقاً..

قال الرب يسوع لتلاميذه: «مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا» (مت ١٠ : ٨)، الذكاء الذى أخذته والعلم الذى وهبه لك الله، والمال المُعطى لك، وأية مواهب أعطاها لك الله.. وكل ما تحصل عليه هو بحسب ما قاله داود النبى: «مِنْكَ الْجَمِيعَ» (١أى ٢٩ : ١٤).

فكل ما أنت فيه ليس لإمكانياتك ولا لقدراتك ولا لذكائك فطالما أخذت مجاناً وزع مجاناً.. فعندما آخذ مجاناً أكون خجلاً ولا أعرف أن أُعطى كما هو أعطانى.

راجع ضميرك فى كل عطاء تعطيه ماذا تنتفع؟.. وإذا كان هناك نفعية ثق أنك بعيد عن العطاء بنقاء، فاعط وأنت لا ترجو شيئاً، وإذا أعطيت وأنت فى غم أو ضيق أو هم فاعلم أن عطاءك لا نقاوة فيه، فمن يعطى للموضوع لا ينقص أبداً، ولا يُأخذ منه شئ.

على رأى القديس يوحنا ذهبى الفم وهو يعطى عن نفسه مثالاً

بأنه يجرى ليمسك إنساناً ليعطيه، وذلك لإحساسه بأنه هو المحتاج إليه، لأنه من خلاله يقابل الرب يسوع شخصياً.. وهو الذى قال كنت جوعاناً فأطعمتمونى.. **فالجائع لا يحتاج إلى لقمتى، ولكنى أنا المحتاج أن أرى المسيح من خلال هذه البطن الجائعة** أو هذا الجسد العارى لأكسيه وأتقابل مع ربنا يسوع.

وأنا أعطى لا يمكن أن أنقص بل على العكس إننى دائماً أكسب، هكذا يا أحبائى إننا نشعر بالمسرة كجزء من نقاء العطاء، لأننا نكون محتاجين أن نعطى لكى نتلامس مع الشخصية الوحيدة التى تعطينا حتى الآن بدون إستحقاق منا.

هذا الأمر للحق يجعلنا نفكر باستمرار فى أن العطاء بمسرة يتحقق لنا عندما نفكر فى شخصية الرب يسوع الذى نعطيه، فعندما نجد جوعاناً ونطعمه فسيظهر على وجهه علامات السعادة، وإذا وجدنا إنساناً حزيناً وقدمنا له كلمتين أفرحوا قلبه برغم الحزن الذى فيه.. أو عندما نستطيع أن نقابل مسجوناً ويفرح بالزيارة وأنه وجد إنساناً يسأل عنه، فالموقف هنا دائماً هو الفرح بوجه يسوع الذى أمامنا فى أى عطاء وهو سر المسرة فى العطاء..

ركز عينيك على ملامح يسوع، وثق أن يسوع نفسه يفرح

بالعطاء الذى تقدمه لأحد المحتاجين، فـهل أنت ترجع من أى عطاء، والمسرة جزء رئيسى من حياتك اليومية فيه؟..

أرجوك أن تحكم على أى عطاء أعطيته أو ستعطيه إن كان بنقاء أم لا بأمرين..

١ ـ أن لا يكون لك هدف نهائى من ورائه.

٢ ـ أنك ترجع من أى عطاء تكون فرحاً ومسروراً لأنك رأيت وجه الرب يسوع فى هذا العطاء.

العطـاء فـى الخفـاء:

الرب يسوع أيضاً أوصانا فى العطاء أن يكون فى الخفاء، يقول سليمان الحكيم: «مَجْدُ اللهِ إِخْفَاءُ الأَمْرِ» (أم ٢٥ : ٢)، ورب المجد يقول: «مَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ. لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً» (مت ٦ : ٣ ـ ٤).

فإذا أردت مجد الله لابد أن تخفى العطاء إخفاء محكم ومتقن، فلا تقدم للكنيسة ستور ورخام أو أية تقدمة أياً كانت، ثم تضع ما يدل على الاسم أو العائلة!..

فهل تظنوا أن مثل هذا الإنسان قد إستطاع أن يحقق هدف العطاء، قد يكون حقق مجد عائلته واسمه، ولكنه للأسف قد ضاع منه كل ما قدمه.. فإذا قدمنا شيئاً فلا نكتب عليه اذكر يارب عبدك فلان... لكن هذه الكلمة اجعلها بينك وبينه فى مخدعك.. **فالذى يرى عطاءك واحد هو الله، وأنت إذا قدمت له فى إخفاء مُحكم تكون قد أخذت أجرك كاملاً** من الذى وعد أن يجازيك لا فى الخفاء كما قدمت بل فى العلانية.

والحقيقة أن هناك صعوبة تقابل الإخوة الذين فى وضع مسئولية، وذلك لكى يقدموا عطاياهم مخفية.. لذلك نرى أن للآباء الكهنة فى ملابسهم أكمام طويلة واسعة وذلك وسيلة من وسائل الإخفاء لأى عطاء يقدمونه..

فمهما كان وضع القادة الذين وُضع عليهم أن يكون عطاؤهم فى بعض المواقف ظاهراً، فلابد أن يكون لهم تدبيراً محكماً، وذلك ليكون عطاؤهم أكثر خفيةً، **فبقدر ما تزداد المسئولية بقدر ما تزداد مسئولية تدبير الإخفاء فى العطاء.**

فلو نظرنا إلى شخصية فى مثل مسئولية القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم، فإنه كان فى وضع لا يستطيع معه الإخفاء، وذلك

لأن المحتاجين كانوا واقفين بالطابور، فلما كان إنسان يسأله عن كل هذا الطابور فكان رده البسيط أنه يأخذ باليمين ويوصل بالشمال، أنا فقط مجرد «موصلاتى».

ومع كل هذا سمعت من أحد مُعاصرى أبينا القديس كيف أنه كان يستطيع أن يدبر الخطة الحكيمة المُحكمة لإخفاء العطاء، فلقد بلغ علمه فى أحد الأيام أنه يوجد أحد الكهنة لا يوجد عنده ولا رغيف خبز فى بيته، وقالوا له أن هذا الكاهن فى بلد بجوار الفيوم بينها وبين الفيوم حوالى ٧كم، فوجدنا أن الأنبا أبرام ينادى تلميذه رزق، ويقول له «ألن تذهب إلى زوجتك يا رزق.. قم الآن واذهب لزوجتك واغلق باب المطرانية وراءك جيداً».. فأتقن حَبْك الموضوع على رزق تلميذه أنه لن يخرج من المطرانية هذه الليلة، ثم نزل الأنبا أبرام إلى غرفة المائدة التى يجعل الفقراء يأكلون فيها، إلى أن وجد فيها بعض الطعام، ثم وضعهم بإحكام فى إحدى ملابسه على شكل صُرّة ولبس جلابية بيضاء ووضع الصُرّة فوق رأسه وكأنه أحد عمال التراحيل، وخرج من المطرانية ثم سار خارج الفيوم ٧كم إلى أن وصل إلى بيت أبونا، وخبط عليه ثم قدم إليه ما حمله من طعام وهو يقول له لم أجد طعام غير هذه المؤونة البسيطة ثم تركه ومضى

وهو يطلب دعواته، خرج أبونا ليجرى وراء أبونا الأسقف ليدعوه أن يعود ليبيت عنده.. وأما أبونا الأنبا أبرام لما أحس بأنه خرج وراءه إختفى وراء شجرة مشمش إلى أن ظن أن أبونا قد عاد إلى بيته، حينئذ خرج الأنبا أبرام ليستكمل مسيرته عائداً إلى المطرانية، وأما أبونا استدار مرة أخرى عائداً ليبحث عن الأنبا أبرام ليجده سائراً فى طريق العودة فسار وراءه إلى المطرانية، وهناك على الباب أسرع وراءه ليأخذ بركته، وهو يقول له إنه كان يتمنى أن يبيت عنده هذه الليلة، وهنا أمره أبونا الأسقف بأن لا يعرف أحد شيئاً من هذه الأمور إلى وقت مماته..

هنا رأينا كيف أن المسئولية لا تلغى نقاء الوصية ولا خفاء العطاء.. فالعطاء الذى سيبقى لنا ولأولادنا هو الذى لم يعرف عنه أحد شيئاً أبداً.

والحقيقه أن رب المجد عندما حكى لنا عن إنسان وجد كنزاً قال أنه وجد الكنز فأخفاه فى الحقل.. فإننى عندما أجد بركة العطاء وأشعر أننى تقابلت من خلالها مع شخصية الرب نفسه.. فهل سأخرج لأتكلم.. أم أخفيها ككنز ولا أحد يعلم بها.

العطـاء بسخاء:

يا أحبائى العطاء بنقاء يكون بخفاء وأيضاً لابد أن يكون بسخاء.

فالعطاء فى حقيقته هو خروج من الذات الشحيحة التى تطلب لنفسها دائماً الأفضل، وهو الذى اليد فيه تكون سريعة فى العطاء، فعندما تعطى وأنت تحسب اعرف أنك ناقصاً فى العطاء.

الله لا يعطى لك بحساب ويقول لك أنت أخذت زجاجتين ماء أو زجاجتين هواء وما إلى ذلك.. فالهواء كله لك، والماء كله لك والأرض كلها لك، وكل ما على الأرض هو لك أيها الإنسان.

إنه يعطى الجميع بسخاء ولا يُعير.. فهو معطى لنا كلنا الصحة بلا حساب.. بسخاء.. فلماذا تعامل الإنسان رفيقك بشُح وبجفاء..؟!

صدقونى يا أحبائى لن نتذوق طعم العطاء المسيحى إلا إن عشنا وصية بولس الرسول القائلة: «الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ» (رو ١٢ : ٨).. فعندما تعطى اعط بدون حساب، وحتى تكمّل عطاؤك بسخاء.

مثالاً لهذا لو إنه يوجد إنسان يحتاج إلى جلابية وبعدما أخذها قال أنه يحتاج إلى حذاء، أو أنه يحتاج إلى طعام، هنا من الممكن

أن تنظر إليه وتقول له أنت طمّاع، بينما يجب أن تنظر إلى نفسك وتلومها على الشُح الذى أنت فيه، فلا تنظر إلى طمع غيرك بل انظر أنت إلى نقصك فى العطاء، وذلك لأن فى العطاء تفنن وحب للموضوع نفسه.

فعندما نجد فنان يعطى لوحة من فنه ويجدها ناقصة لمسة تجده لا يترك اللوحة إلا بعد أن يكملها تماماً، **كذلك السخاء يجعل للعطاء أيقونة أجمل فى عينيك وفى عينى الله**، لأجل ذلك لايوجد إنسان أعطى بسخاء إلا وعاش فى خير أرضى وسماوى هو وأيضاً أولاده لا يلتمسون خبزاً (راجع مزمور ٣٧ : ٢٥).

ياليتك تراجع نفسك على الخير الذى أنت فيه، وليس سببه أنت لكن حتماً كان فى أجدادك وآبائك مَن أعطوا لربنا كثير وبسخاء، فالله يكافئهم فيك، وأنت ماذا قدمت لأجل أولادك؟..

العطاء علامة إيمان وثقة:

هناك البعض الذى يقول أن هذا الكلام ليس عقلانياً وهو كلام نظرى، لكن صدقونى أن العطاء هو علامة إيمان وثقة لاتعرف زعزعة فى الله.

فهل من المعقول أن أعطى الله بسخاء، ويأتى علىّ يوماً أكون فيه محتاج إحتياج حقيقى؟!.. **فإن كنت أقدم بسخاء والدنيا بها غلاء فالبركة موجودة عنده للغاليين عليه** الذين يعطون أولاده بسخاء فيعطيهم مع شظف العيش البركة الخفية مهما كانت الإمكانيات قليلة ومحدودة، مادام الله يلاحظ فيك نياتك الخفية وعملك الظاهر السخى لابد أن يكافئك أنت وأولادك، وهذه إحدى ثمرات العطاء، فالخطية التى أنت تصنعها تقع عليك، لكن بركة العطاء تأتى عليك أنت وأولادك أيضاً، وهذه توضح لك إلى أى مدى تحب أولادك.. فلذلك اعط بسخاء.

يا أحبائى الشباب فى بداية حياتكم اقتنعوا بأن البركة من الله أثمن من كل شئ أرضى، فلا يمكن أن تعطى بسخاء إلا وتأخذ بركة، وهذه البركة لا نراها، لكن نحس بوجودها وبفعلها فى حياتنا الشخصية.. فى أسرتك وبيتك.

يا أحبائى بولس الرسول يقول لتلميذه الأسقف تيموثاوس أن يوصى الأغنياء أن يكونوا أسخياء فى العطاء (١تى ٦ : ١٨)، إذن هل السخاء فى العطاء يخص الأغنياء..؟

لا بالعكس هو يخص الجميع.. مفتوح لكل إنسان، بل بالعكس

أحياناً أتقابل مع إنسان من الذين يطلقون عليهم فقراء، أجد عنده السخاء يقابلنى بالرب يسوع نفسه فأخجل منه، وأتذكر ما قاله مار بولس الرسول عن الغلاطيين الذين كانوا فقراء.. أنهم لو أمكن يقلعوا عيونهم لكى يعطوها له (راجع غلا ٤ : ١٥)..

إننى أرى كثيرين ممن يسميهم الآخرين فقراء وهم أسخياء فى عطائهم موبخين بذلك أغنياء كثيرين، فأحياناً الغنى تكون أمواله مكدسة عنده بتعب أو بإرث وهو خائف عليه ولا يرضى أن يقدم أو يصرف منه، بينما الفقير لا يخاف على شئ إطلاقاً.

فالسخاء لا يخص الأغنياء وإنما يخص المسيحى الغنى فى الإيمان مهما كانت وزنة المال بين يديه.. الفقير مثل الغنى أمام السخاء، فأنا لا أستطيع أن أعطى لك، بينما لا يوجد فى جيبى شيئاً ولكن من الممكن فى أثناء وقفتى أمام رب المجد يسوع أقول له ياسيد إما أن تعطينى لأعطيه، أو أن تعطيه مباشرة، فالنية هنا أمام الرب اسمها سخاء.

لأجل هذا تصلى الكنيسة فى أوشية القرابين قائلة: «الذين قدموا لك هذه القرابين... والذين يريدون أن يقدموا وليس لهم»، فالذين

يريدون وليس لهم محسوبين تماماً أمام الله كالذين أعطوا، **فالسخاء لا يتوفر بالإمكانيات فقط وإنما السخاء بالنية والإرادة التى تريد أن تعطى لله**.. الرب يعطينى وإياكم بركة العطاء حتى النفس الأخير.

صلاة:

يا أبونا السماوى الذى قال: اعطوا تعطوا.. نشكرك لأجل عطاءك المتكرر السخى علينا، لكننا نعترف أمامك بأن عطايانا فى أوقات كثيرة تخلو من النقاء.. نقدم لننتفع، وإن لم ننتفع ظاهراً ننتفع بصورة غير مباشرة، نقدم ونحزن، نقدم ونرجو الناس أن ترانا وتتطلع على عطائنا، نقدم والشح فى قلوبنا قبل أيدينا.

نعترف أمامك يارب أن عطايانا ينقصها مقابلتك أنت شخصياً.

أنت وعدت يارب أن تعطينا السماء والحياة الأبدية أمام التفاهات الأرضية التى نظن أننا نعطيها مع أنه من يدك الجميع أخذنا.

يارب يسوع المسيح فكرنى وفكّر أولادك بالسماء، واعلن شخصك الحلو أمام عينى وعيون أولادك لكى يكون عطاءنا كله

وجهك الجميل، وجهك المفرح الذى عندما رآه التلاميذ والأبواب مغلقة فرحوا فرحاً عظيماً.

أنت يارب حتى فى يوم ميلادك لم تأت لنكبة أورشليم وأطفالها، لكن أتيت والملائكة تبشر بفرح عظيم لجميع الشعب.

لا يمكن يارب أن تكون صورتك أمام عيوننا ونظل فى هذه الحالة الردية فى كل ما نعطى.

سامحنى يارب وسامح أولادك عن كل عطاء غير نقى وغير خفى وغير سخى، وأعطنا يارب من فضلك أن تكون بملء البصر عيوننا على شخصك المحب الذى يعطى ووعدنا عندما يعطى أن يعطى كيلاً مهزوزاً فائضاً.

ببركة صلاة أمنا العذراء مريم ولأجل خاطر صلوات أبينا القديس الأنبا أبرام وصلوات جميع رجال العطاء فى القديم والجديد وإلى مجيئك الثانى، بصلواتهم يارب علمنا كيف نعطى..

عظة بإجتماع الشباب الجامعى والموظفين بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية

١٩٨٧/٦/١٨

أنا الرب حارسها
(أش ٢٧ : ٣)

العطاء لابد أن يكون بنقاء.. والنقاء عملة لها وجهين، العطاء المجانى الذى لا يكون من ورائه هدف ولا منفعة، والوجه الثانى هو العطاء المسرور الذى أقدم فيه وأشعر بلذة وجه يسوع الذى آراه أمامى إذ أعطانى أن أجد صورته ماثلة أمام عينىّ وأنا آخذ من مسرته وأعطى.